



مراحل الأدب (شفوي – كتابي – رقمي)

بدالك شبيحة : أستاذة محاضرة صنف (أ)

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

جامعة تيزي وزو

إن استخدام الأقمار الصناعية في الاتصال الجماهيري يعود إلى تاريخ 10 جويلية 1962 حين أطلقت وكالة أبحاث الفضاء الأمريكية وشركة التلغراف والتلفزيون الأمريكية AT and T قمر صناعي Telesat، وبذلك بدأ عصر بث البرامج الحية المنقولة عبر القمر الصناعي.

تستقبل إذن هذه الأقمار بث الإرسال الإذاعي والراديو والتلفزيون وتنقل أخبار وصور وموضوعات وكالات الأنباء للصحف وتبث رسائل الهاتف والفاكس والاتصال بين أجهزة الكمبيوتر في دول العالم¹.

تشير الإحصائيات المختلفة إلى أن الأفراد أصبحوا محاصرين من كل جهة بوسائل الإعلام والاتصال التي احتلت مكانة أساسية في عصرنا الحالي، وبات من غير الممكن الاستغناء عنها لارتباطها بجل الأعمال اليومية للأفراد وللجماعات²، حيث لا يمكن لأفراد المجتمع أن يعيشوا منعزلين عن بعضهم، ذلك أن استمرار الحياة مرتبط بالاتصال بين الأفراد خاصة بالنسبة للمتخصصين الذين يشتغلون في مؤسسات وهيئات أساسها التعامل مع المعلومات، لأن المجتمع الرقمي ومجتمع الإعلام والاتصال يعبران عن ولادة عصر المعلومات، وخاصة شبكة الأنترنت* التي دشنت بمرحلة جديدة

من التطور الإنساني وغيرت معنى الثقافة التي أصبحت تتوسط وتقيم من خلال الاتصال المتفاعل³ بين المتلقين ومضامين الشبكات الإلكترونية.

حيث تعتبر التفاعلية أهم خاصية لشبكة الأنترنت والتي تميزها عن وسائل الاتصال الأخرى والتي ليس لها مجال للتفاعل بل هي وسائط لنقل الرسائل للمتلقى، أما شبكة الأنترنت فالمجال واسع للاستقبال والتلقي والمناقشة والرد وتعديل الرسائل وإعادة الإنتاج وحرية الاتصال مع من تشاء في أي موضوع وفي أي زمن تشاء أيضاً.

فالحاسوب إذن ليس فقط أداة وإنما هو شكل ولغة وفضاء وعالم ومنتج وفضاء للإنتاج التفاعلي من خلال الخطاب والنص أيا كانت كلامية، لغة، صوت، حركة وفي هذا الإنتاج أو الإبداع التفاعلي يتحقق التفاعل في أقصى درجاته بين المرسل والمتلقي.⁴

وبالتالي، فإن انفجار الوسائط الإلكترونية إنما سيكون من شأنه قلب مفهوم التواصل اللغوي المعتاد إلى حين عهد قريب فاسحا المجال لمرحلة ما بعد الكتابة، حيث يمتزج المكتوب بالمسموع المرئي بالثابت وبالمتحرك مكونين بذلك رسالة اتصالية كثيفة المعلومات.⁵

المراحل التي مر بها الأدب (شفوي - كتابي - رقمي) :

لقد أدرك كثير من الباحثين على أن الشعبيات ليست مجرد مجال ضيق قصاره دراسة العقلية الشعبية وما يلابسها من عادات وتقاليده وطرق التفكير وطرق العيش لدى طبقة معينة، وإنما هو أدب يعبر عن مكنونات المجتمع المتواجد فيه يستحق الدراسة والبحث، وأنه من الضلالة المنهجية أن نقرأ نصوص ما قبل الكتابة بالقاعدة نفسها التي نقرأ بها نصوص ما بعد الكتابة، بل لا يمكن أن نقرأ نصوصاً عامية أو شعبية بالوتيرة نفسها التي نقرأ بها نصوصاً فصيحة لأنه شتان ما بين القراءتين، والسبب يعرفه المتعاملون مع طبيعة النصوص والمدركون للوضعية التواصلية التي تفصل بحدود واضحة الخطاب الشفوي عن الخطاب الكتابي، لأن اللغة الشفوية متعارضة في تزامنيته وفي رموز اتصالها بالنسبة للغة المكتوبة، وقراءتها لا تكون إلا وفق هذين النظامين المتباينين وذلك انطلاقاً من

الماهية الصوتية والخطية حتى على مستوى لغة واحدة، وذلك أيضا لأن وحدة المعنى في الخطاب الشفوي تقوم على التركيب والوحدة الخطية في الخطاب الكتابي تقوم على الكلمة⁶.

ثم أن النصوص الشعبية في أصلها ثابتة فتتحو إلى التحرك بفعل الرواية والانتقال بين الشعوب ويفترض في الخطاب الشفوي في التكلم حضور المتكلم والمستمع، ويكون الخطاب عفويا غير قابل للمراجعة والتصحيح وهذا ما تم حفظه في الذاكرة الجماعية.

الثقافة العامة والثقافة الشعبية:

تعد الثقافة جزءاً لا يتجزأ من الحياة الاجتماعية ويشارك في صنعها وتتميتها قوى متعددة تنتج ثقافتها بأيديها ويعقولها كعملية متكاملة تعطي للثقافة طابع التأثير في تجديد الإنسان وثقافته.

فالثقافة إدراكا هي ابتداء صورة تكونها الذات من العالم الخارجي، صورة يجري بناءها بواسطة سلسلة من عمليات الاتصال الفكري والجماعي بأشياء هذا العالم⁷.

يسمح لنا التعريف السابق باستنتاج ثلاث آليات في عمل الثقافة، تعبر الأولى على ميل الثقافة لأن تكون نسقا من التصورات للعالم وتعبيرا رمزيا وتعتبر الثانية عن ميلها إلى أن تكون ممارسة طقوسية والثالثة تعتبر عن ميلها للتعبير عن إرادة الشعب، فهي إذن تتلقى وترد وتنتج يعني تعي وتتفاعل وتفاعل، فالثقافة المكتوبة ليست إلا لحظة من لحظات التعبير الثقافي الشفوي والفنون والتعبير الحركي الذي يتخذ الجسد مادة له في المقام الأول كالوشم والنقش والنحت والرقص والغناء... فنحن إذن أمام نمطين أنثربولوجيين من الثقافة: الثقافة العامة وهي المكتوبة المعبرة عن المعرفة النظرية المفهومية، والثقافة الشفوية أو الشعبية المعبرة عن الأدب والفن الفولكلوري⁸.

يقسم المختصون في علم اجتماع الفن والأدب وبعض الدارسين في ميدان الأنثربولوجيا الفنون الشعبية إلى فنون بدائية وأخرى شعبية، فأما الأولى فهي التي

نشأت قبل مرحلة التاريخ وقبل ظهور الكتابة، أما الثانية أو المتحضرة فهي التي يبدو فيها تأثير التعليم المدرسي والتفكير العلمي فتختلف عن التفكير الشعبي السطحي الذي يعبر عن الفولكلور.⁹

لمحة تاريخية عن تطور الفكر الإنساني:

الحقيقة أن هناك احتكاك حضارات وثقافات عبر التاريخ تتبع وراثات بالحضارات الشيء الذي أدى إلى تطور فكري إنساني شامل، ونلاحظ أن هذا التطور كان حسب مجالات معينة كالعلوم والمعارف، فلقد مر تفكير الأمة العربية كجزء من الفكر البشري بأطوار يسميها علماء الميثولوجيا يطور ما قبل المذهب الحيوي، فالحيوي ثم الطوطمي، فتعدد الآلهة ثم فكرة وحدة الإله. أما الطور الحيوي فقد سعى فيه الإنسان إلى قضاء الضروريات البسيطة التي أخذت مكان العادات والتقاليد، حيث قدّس الإنسان البدائي الموجودات حفاظا لكرامة الأسلاف وبعد هذه المرحلة انتقل إلى الطوطمية، إذ يعتقد كل فرد من أفراد القبيلة بعلاقة نسب بينه وبين واحد منها يسميه طوطمه قد يكون نباتا أو حيوانا.

فيقول هربرت سبنسر « إن الطوطمية في اعتبارها الديني قديمة جدا، أما اعتبارها الاجتماعي المستمر فهو طراز جديد وهو الاعتقاد بالانتماء إلى حيوان معين »¹⁰، أما مرحلة الإله الواحد فقد انسلخ الإنسان بقدر كبير عن الأساطير وعبادة الموجودات بفضل العقلانية والتفكير العقلاني والابتعاد عن الفكر الميثولوجي البدائي.

من الكتاب الشفوي إلى الكتاب الإلكتروني:

لقد كان الأسلوب الشفاهي في تداول الأخبار وتناقلها يمثل الأسلوب الذي يتحقق فيه البعد الأول للتواصل المباشر من لسان إلى أذن، وبقي هو الأسلوب الأساسي لتبادل المعلومات والأقدام للتواصل قبل ظهور الكتابة.

أما الأسلوب الكتابي فكان يعتمد على الأثر الذي يبقى ويتعدى الزمن، حيث صار الكتاب كشيء مادي أداة كلامية للتواصل وبقي هذا الأسلوب سائدا إلى أن جاء العصر الحديث الذي تطورت فيه أساليب الاتصال مع اختراع

وسائل الإعلام والتكنولوجيا، فاستدعى هذا الانتقال إلى تحقيق عالم ثلاثي الأبعاد ثورة تكنولوجية كبرى هي ثورة المعلومات، فساعدت على التغيير ومكنتنا من رؤية العالم بطريقة جديدة ومختلفة، حيث أصبح النص مرتبطة اليوم باللغة والإعلام والكتاب كإبداع نصي جديد.

فعندما نقارن ما كانت عليه الوسائط في البداية مع ظهور التلفاز ثم تعدد القنوات وظهور الفضائيات والتطورات الرقمية يتبين الفرق الحاصل في الزمن، وفي تعدد ما يمكن أن يشاهده الفرد في بيته وما حققته التكنولوجيا من معارف مقارنة بزمان وجود القناة الوحيدة، فتم الأشغال إذن من عالم أحادي مغلق على مستوى الخطاب (السلطة) وعلى الزمان (مدة محدودة)، وعلى الفضاء (البلد) إلى عالم متعدد ومنفتح بصورة كبيرة، فمن الشفاهي الذي استمر ردحا طويلا من الزمان انتقل النص إلى الكتابة، حيث اعتمد العرب في البداية على الذاكرة في نقل مروياتهم شفاهيا ورأوها تجسد أحلامهم وأفكارهم فعلا، فظلوا يتوارثونها عبر السنين، ولكنهم عندما أدركوا أهمية الكتابة صاروا في أمس الحاجة إليها، فعمدوا إلى تدوين ما خزنته الذاكرة الجماعية معتمدين في ذلك على استثمار الحروف الأبجدية والتطور في تحسين وسائل الكتابة وكل متطلباتها وأدواتها (أوراق، أقلام...)، فيمكن إذن اعتبار الكتابة باليد أول مظهر لانتقال النص من الرواية الشفوية إلى التدوين الذي يضمن التواصل بالقارئ.

ثم جاءت مرحلة الطباعة التي جعلت النص يتطور كثيرا، فالكتاب المترابط الذي ظهر بظهور الحاسوب واستثمار ما يقدمه من إمكانيات إنتاج الكتاب الإلكتروني الذي يقوم أساسا على الترابط النصي، فيختلف في طريقة تقديمه للمستعمل عن طريق شاشة الحاسوب والذي يتم التفاعل معه من طرف القارئ ليخلق بذلك وسطا تفاعليا جديدا متمثل في الحاسوب والمتلقي من خلال عملية القراءة والنص. كما يمكن للتواصل أن يكون من خلال الحاسوب افتراضيا مع الآخرين حول مختلف المواضيع.

ومن هنا ، فإن الاتصال يهدف إلى تحقيق التفاعل الاجتماعي في جميع أشكاله التي تفرضها العلاقات الاجتماعية وتستدعيها الضرورة اليومية حين يعتمد التخاطب واللغة المنطوقة أو المكتوبة كأدوات اتصال تشمل أنواع الاتصال الاجتماعي والثقافي المباشر وغير المباشر ، حيث يلتقي الفرد مع باقي أفراد الجماعة اللغوية فيتعامل معهم ويبادلهم الحديث أو الحوار مشافهة أو من خلال المشاهدة ، فيتحقق الاتصال بالطريقة التي تنتقل عبرها المعلومات والأفكار بين أفراد الجماعة اللغوية ، كما زيادة القدرة على التفاهم مع الآخرين ، إذا اقترنت بالقابلية على التكيف والقدرة على الإبداع¹¹ .

سنكون إذن بإزاء نقلة نوعية أقل ما يقال عنها ، إنها ثورة في أسلوب التواصل الذي اعتاده البشر منذ الأزل وليس لدينا تصور واضح عن طبيعته وعن توجهاته ولا عن آثاره النفسية والاجتماعية واستخداماته الشخصية وغير الشخصية ، ويبدو الأمر إذن مع تطور هذه الوسائط وانتشاره السريع أن اللغة أضحت في الآن ذاته وسيطا مثلها وحاملا لمنظومة رمزية بالإمكان تلمسها من خلال ما يصطلح على تسميته بالثقافة الافتراضية¹² .

يقول منويل كاسطيل بهذا الصدد « إن بروز هذه الشبكات ، إنما تتوازي وتحطيم الحواجز والتمييزات بين وسائل الإعلام السمعية/البصرية والمكتوب بين الثقافة الشعبية والثقافة العارفة ، بين الفرجة والمعلومة بين التربية وعملية الإقناع كل تعبير ثقافي القبيح كما الجيد الأكثر نخبوية ، كما الأكثر شعبية ، كلها تذوب في هذا الفضاء الرقمي الذي يربط في إطار نص تاريخي ضخم كل تعبيرات الذهن الماضية كما الحاضرة كما المستقبلية »¹³ .

وعلى هذا الأساس فالرسائل إنما تشتغل على أساس نمط رقمي ، فالتواصل الإلكتروني يغدو هو التواصل وما سواه لا قيمة تواصلية له تذكر ، وهذا كله ما يحدد طبيعة المجتمع المعلوماتي ذاته.

الكتاب لغة:

بالرجوع إلى مادة (ك ت ب) في معجم لسان العرب لابن منظور ، نجد عبارة الكتاب معروف والجمع كتب وكتب.

كتب الشيء يكتبه كتبا وكتاب وكتابة، وعن الأزهرى الكتاب اسم ما كتب مجموعا والكتاب مصدر والكتابة والكتاب ما كتب فيه، وتعرفه اليونسكو بأنه مطبوعة غير دورية تتكون على الأقل من 49 صفحة عدا صفحات الغلاف، وأما النشرة فهي مطبوعة دورية لا يقل عدد صفحاتها عن خمس ولا يزيد عن 48 صفحة فيما عدا صفحة الغلاف، وقد وضعت اليونسكو هذا التعريف عام 1964 لخدمة أغراض الإحصائيات عن الكتاب في العالم¹⁴.

مكونات الكتاب:

يتكون الكتاب من العناصر التالية:

الغلاف - القوام، تتكون من الورقة الغفل أي الورقة الخالية من الكتابة في أول الكتاب أو آخره و صفحة العنوان والصورة المقابلة لصفحة العنوان و صفحة المقدمة و صفحة الرسوم التوضيحية.

المتن والمواد المرجعية أو المساعدة وتتلف من الملحق والقاموس والحواشي.

تاريخ الكتب والمكتبات:

إن السومريين هم الذين خصوا الكتاب بالدور الذي ارتبط به حتى يومنا هذا، أي أن يكون الحافظ للإنجازات الإنسانية الثقافية والتكنولوجية وأن يخدم أيضا الأهداف الرسمية والتعليمية منذ منتصف الألفية الرابعة قبل الميلاد حتى بداية الألفية الثانية قبل الميلاد، حيث دونوا الحكايات والأساطير فضلا عن المعاجم والنصوص المتعلقة بالبيطرة والرياضيات كما أن البابليين الذين لعبوا دورا هاما في إحياء الكتابة وخاصة في عصر الازدهار الكبير في عهد حمورابي في القرن 18 ق.م، توصلوا إلى إنتاج كتابي ضخم تضمن مختلف الموضوعات بالإضافة إلى المكتبة الرسمية في إبيلا التي تمثل مركزا للوثائق التي تم اكتشافها غرب مدينة حلب بسوريا، تحتوي على جزء كبير من النصوص الأدبية والإدارية والقانونية والسلطوية ومكتبات أوغاريت التي تم اكتشافها قرب مدينة اللاذقية على الساحل السوري.

أما المكتبات في عهد الفينيقيين فأبرزها مكتبات قرطاج الغنية، وأما مصر القديمة فإنها لم تهتم بالمكتبات سواء الخاصة أو العامة بسبب الإنتاج المحدود للكتاب وعدم تطور التجارة بالكتب وانحصار الكتابة بالكهنة والطبقة البيروقراطية، كما كانت الكتب تحفظ في المعاهد والمدارس التابعة لتلك المعابد ثم في قصور باستثناء مكتبة للفرعون رمسيس الثاني (1225 - 1292 ق.م) في مدينة طيبة أو مكتبة حوث في الإسكندرية.

ولقد تطورت مكتبة الآشوري (آشور بانيبال) بأبعاد أوسع وأهم مكتبة في الشرق الأوسط في فترة حكمه عام 669 - 627 ق.م.

أما عن الكتاب والمكتبات عند الفينيقيين، فنجد أبرز مثال هم مستوطنة فينيقية في قرطاج بتونس حالياً، فقد كان للقرطاجيين مراكز للوثائق ومكتبات ثرية وعلى الطرف الآخر لنهر النيل تطورت منذ نهاية الألف الرابعة قبل الميلاد الحضارة المصرية الكبيرة التي حظيت فيها الكلمة المكتوبة بمكانة خاصة، فقد كانت معرفة القراءة والكتابة تعني لكل مصري تأميناً ممتازاً في المجتمع ولذلك نصح العجوز (دوا أوف) بحكمة ابنه بيبيا ووجهه إلى المدرسة بأن يحب الكتاب كأمه، فلا يوجد أثمن من الكتاب ولكنه لم يكن تعلم الكتابة في مصر القديمة أمراً سهلاً، فكان المصريون يعبدون الكتاب لأنه أنفع من البيت المبني ومن المعبد، ويعتقد أن الصينيين بدءوا منذ الألف الثالثة ق.م يتوجهون للكتابة عن طريق النسخ الكثير وتعتبر فترة كونفوشيوس (551 - 479 ق.م) هي أفضل الفترات.

حيث وضعت فيها أهم المؤلفات في الرياضيات والطب والأدب، أما في شبه القارة الهندية، فقد ظهرت الكتابة في وقت مبكر، ففي الألف الثالثة ق.م تطورت الكتابة الهندية في المدن الكبرى كموهينودارو وهاراجا، ونظراً لطغيان الثقافة الشفوية، حيث كانت الطريقة الوحيدة لانتقال النصوص الدينية والأدبية والعلمية من جيل لآخر هي المشافهة.

أما بالنسبة للمكتبات في الحضارات القديمة للشرق الأقصى كالصين والهند، فلم يتعرف التاريخ على الكثير من المكتبات في الصين والهند القديمة، حيث تذكر المصادر المدونة مجموعة من الكتب في المعابد وقصور الحكام، والغريب أن ثقافات أمريكا الوسطى والجنوبية لم تهتم بالكتاب بشكل يتناسب مع قوتها الاقتصادية، ومع ذلك فإن شعوب المايا والمكسيك والأستيك قد استمروا بتأليف الكتب حتى بعد خضوعهم للإسبان وألفها أصحاب الشريحة العليا في المجتمع. أما الرومان فقد كتبوا أكثر من اليونانيين وبالمقارنة مع المكتبات العربية والبيزنطية في العصر الوسيط، فقد كانت تحتوي مئات الآلاف من الكتب، نجد المكتبات في أوروبا الغربية خلال العصر الوسيط متواضعة جدا (300 - 500 مجلد فقط)، أما في العصر الهلنستي، نجد مكتبة الإسكندرية التي أسسها البطالمة بمصر أهم مكتبات العالم اليوناني - الروماني ومكتبة برغام التي أسسها في نهاية القرن 3 ق.م أثال سوتير (214 - 197 ق.م). كما شيد اليونان والرومان مكتبات ضخمة تقليدا لمكتبة الإسكندرية، أما في العصر الوسيط الأوروبي، فقد كانت المكتبات توجد في الأديرة والكاتدرائيات والبيوت الخاصة، وبدأت تظهر في نهاية هذا العصر المكتبات العامة. لكن ما ميز أوروبا في العصور الوسطى فقدان الكتاب كأداة لنقل المعلومات، ففقدت المكتبات دورها الاجتماعي إلى القرن 15 ميلادي. أما البيزنطيون فقد أسسوا المكتبة الإمبراطورية وبقيت تؤدي عملها حتى فتح الأتراك مدينة القسطنطينية سنة 1453م. وبين القرنين 9 و12 بلغت الأمية وسط أوروبا نسبة 95٪.

II - الكتب والمكتبات في الحضارة العربية الإسلامية :

حتى القرن 8 ميلادي أي إلى أن بدأ العرب بإنتاج الورق كانت معظم الأبيات الشعرية والروايات وحتى الإنجازات العلمية تنتقل من فرد إلى آخر بالمشافهة، ومنذ أواخر القرن الثاني للهجرة يشهد العلم العربي حركة تأليف وترجمة نشيطين وأقبل الناس على العلم وبرزت ظاهرة حب الكتب واقتنائها، حيث يذكر المؤرخون أن عدد دور الكتب العامة بلغ في بغداد عام 891م أكثر

من 100، أودعت فيه الكتب للقراءة الداخلية أو الإعارة للقراءة الخارجية، كما كانت هذه الدور أمكنة للبحث والمناظرة، فمكتبة النجف مثلاً في العراق وهي مكتبة صغيرة من هذه المكتبات كانت تحتوي في القرن 10م 40.000 مجلداً، بينما لم تحو أديرة الغرب آنذاك سوى 12 كتاباً ربطت بالسلاسل خشية ضياعها. ولقد أعطى خلفاء ذلك العصر اهتماماً بالغاً بالمكتبات، بحيث لم يكن الخليفة المأمون، بتشجيع من وزرائه، ليهدي الجماهير هدية تتفق مع مزاجهم أجمل من إنشائه مكتبة ضخمة في بغداد، عرفت بدار الحكمة، وما دام الورق هو العمود الفقري للمعرفة الإنسانية، فقد أدرك الخليفة المنصور (754م - 775م) أهمية وكثرة الحاجة إليه في مختلف الدواوين والمعاهد العلمية والمكتبات، فتهاوت عليها العلماء والنساخ والتجار مما اضطر الخليفة إلى التوسع في صناعته خدمة للاقتصاد. ووجدت في مكتبات أخرى في مدن إسلامية أخرى كالْبصرة وسمرقند وحلب والموصل ودمشق، وكانت مكتبة الفاطميين وحدها تضم 1.800.000 مجلداً في حالة جيدة منها 6500 في الرياضيات و18.000 في الفلسفة.

ففي الهند ومع قدوم المسلمين إليها تطور فيه إنتاج جديد للكتاب، وعلى مدى تاريخ الإسلام كان نقل الكتب مشافهة يسير هو الآخر جنباً إلى جنب مع نقلها كتابة، وكثيراً ما كان ينظر إلى النص المكتوب على أنه مجرد تعزيز وتوثيق وتتممة للذاكرة¹⁵.

الكتاب بعد اختراع الطباعة:

بعد اختراع الطباعة (1456م) ومع انتشار الكتب، أخذ عدد الكتب في المكتبات يزداد بسرعة وأفضل مثال في ذلك مكتبة دير تيفريتس في بافاريا، إذ أن فهرس المكتبة ضمت سنة (1848م) 1103 كتاباً، بينما ارتفع هذا العدد بعد 10 سنوات إلى 1738 كتاباً، وقد ارتفع عدد الكتب في مكتبات الملوك والأمراء والمكتبات الخاصة بسرعة أكبر خلال القرن 16م، بحيث لم يعد من المستغرب أن تضم مكتبة خاصة لأحد الأفراد العاديين عدة آلاف من الكتب. وبعد اختراع الطباعة انهمرت ملايين النسخ من الكتب على كل البلاد الأوروبية، وبهذا أصبح الكتاب الوسيلة الأساسية لنشر المعلومات العلمية والتقنية وبالتالي العامل

الرئيسي في تطور العلم والثقافة في العصر الحديث، مما يدل على الدور الهام للكتاب في تغيير الحياة في ذلك الوقت الحاسم بالنسبة لأوروبا ولكل العالم. ويمكن القول إذن أن فترة الممتدة بين القرن 16 و18 تعتبر هامة جدا بالنسبة لتطور المكتبات خاصة في أوروبا نظرا لأن تلك المكتبات في تلك الفترة اغتنت من المكتبات القديمة بشكل لم يسبق له مثيل، كما تم تحويل الكثير من المكتبات الملكية إلى مكتبات وطنية.

أهمية الكتاب ونشره:

إن حسن التعلم يأتي من المكتبات فهو المعلم الأول لكل العلوم ونقل للثقافة في جميع الوجوه.

فكل كتاب يصل إلى القارئ له دور مسبق في نقل المعلومة وتسجيلها وسهل عليه نشر الكتب 3 مراحل هي التأليف والتصنيع والتسويق ومدير هذه العمليات هي الناشر، فالتأليف يبدأ بفكرة موضوع الكتاب في ذهن مؤلفه الذي يقوم بكتابة هذه الفكرة ويعرضه على صاحب دار النشر، وأما التصنيع فيشمل تصميم شكل الكتاب وإخراجه واختيار حجم الكتاب وإعداد غلافه، أما التسويق فتبدأ بالإعلان عن الترويج له بين القراء عن طريق وسائل الإعلام، وفي غالبية الدول العربية تتولى الدولة الجزء الأكبر من حركة نشر الكتب، ففي أمريكا مثالا يبلغ حجم مبيعات ناشري الكتب أكثر من 8 مليون دولار سنويا وعدد دور النشر 1750 تقريبا منتشرة في الدولة ويتركز أغلبها في مدينة نيويورك، ويبلغ عدد موظف بعض دور النشر 6500 شخصا.

المكتبة ظاهرة حضارية:

تمثل المكتبة منبعاً رئيسياً من منابع المعرفة، حيث أنها تجمع بين المصادر المقروءة والمصادر الأخرى وعلى مدى التاريخ كله، لم توجد المكتبات في أمة من الأمم إلا كنتيجة لوجود أناس يعرفون الكتابة ومواد يكتب عليها وتراث فكري يحرص الناس على تداوله، فالليونان لم تعرف المكتبات إلا ابتداءً من القرن 5 ق م كأثر من آثار النهضة الفكرية التي ارتبطت بالمدارس الفلسفية للثلاثة الكبار:

سقراط وأفلاطون وأرسطو، وكذا يتدفق البريد المصري على بلاد اليونان حينما كانت مصر خاضعة لحكم الإسكندر والشأن نفسه بالنسبة للحضارة العربية الإسلامية.

الوظائف الاجتماعية والاتصالية للمكتبة:

للمكتبة وظائفها في أي مجتمع وأبرزها:

- القيام بعملية الإرشاد القرائي، حيث ترشد القراء وتدرس ميولهم القرائية وتنميها والتعرف على مشكلاتهم والعمل على حلها ودورها تعليمي وثقافي.
- تأكيد التواصل الحضاري بين الأجيال والأمم عن طريق حفظ الكتب والحرص على سلامتها لتنتقل من جيل لآخر ومن أمة لأخرى عن طريق الترجمة.

أنواع المكتبات:

توجد لدى كل أمة من الأمم مجموعة من المكتبات تؤدي دورا متكاملا وأشهرها التي ظهرت حديثا استجابة لتطلعات جماهير القراءة نجد:

1 - المكتبة المدرسية:

والتي ترتبط بالمدرسة بمراحلها المختلفة من الأساسي إلى الثانوي والجامعي، وأبرز وظائف المكتبة المدرسية تنمية الوعي القرائي وغرس القيم والعادات الاجتماعية وتساعد التلميذ (الطالب) على توسيع مداركه وتنمية قدراته على التحليل والبحث العلمي كل في تخصصه.

2 - المكتبة الوطنية:

- وتتكفل الحكومة بتمويلها، حيث أنها تقوم بتقديم خدماتها على مستوى الدولة كلها، وللمكتبات الوطنية وظيفتان رئيسيتان:
- **أولاهما:** المحافظة على التراث الفكري للدولة.
- **الثانية:** خدمة أهداف البحث.

ولأغراض الوظيفة الأولى تقوم المكتبة الوطنية باقتناء واختزان كل ما يصدر بالدولة من أوعية المعلومات مهما كان مصدرها، أما بالنسبة للوظيفة الثانية، فإن خدمات المكتبة الوطنية عادة ما تقتصر على الباحثين ممن يحملون دليلا يؤكد مواصلتهم البحث في موضوع معين كطلبة الدراسات العليا

والمهتمين بالبحث والتطوير ويربط جميع الإنتاج الفكري الوطني بتشريعات حقوق النشر وقوانين الإبداع، حيث تلزم هذه القوانين الناشر أو المؤلف أو كليهما متضامين بتقديم عدد معين من نسخ أي مدة يتم نشرها للمكتبة الوطنية.

3- المكتبة المتخصصة:

وهي تلك التي تهتم بالإنتاج الفكري المتخصص في مجال فكري معين وعادة ما تقتصر الإفادة من المكتبات المتخصصة على العاملين بالهيئة التي تتبعها، ويتركز عليها في التركيز على قطاعات موضوعية معينة لتحقيق قدر من الشمول والتعمق في تغطية الإنتاج الفكري لهذه القطاعات.

4- المكتبة المتنقلة:

هناك العديد من الدول التي تعتمد على نظام المكتبات المتنقلة خاصة في القرى والأرياف وأحياء المدن الكبرى والمعزولة، وذلك بأن تحمل الكتب على عربة متنقلة مكيفة على شكل مكتبة وتتم إعادة الكتب للقراءة اسبوعا واحدا في كل حي من الأحياء، ثم تواصل العربة تنقلها ولا يخفى دور المكتبات سوى فك العزلة عن المناطق البعيدة عن مصادر الإنتاج الفكري وربط أفراد المجتمع عن طريق تسهيل الحصول على مصادر المعرفة¹⁶.

5- المكتبات الحديثة:

نتيجة لانتشار التعليم بين مختلف طبقات الأمم والشعوب ونتيجة لتطور الطباعة وكثرة ما تخرجه المطابع من الكتب والصحف والنشرات وغيرها من صور النشر الحديثة، أصبح من العسير على أي مكتبة أن تجمع كل ما ينشر على وجه الأرض مما أدى إلى التخصص في أنواع المكتبات حسب الفئات أو المستويات العلمية والاهتمامات، ومن أشهر المكتبات في العالم نجد مكتبة الكونغرس الأمريكي وهي الأضخم عالميا، حيث تضطلع بمهام المكتبة الوطنية وقد تأسست سنة 1800م وتداول عليها 14 مديرا حتى يومنا هذا، آخرهم منذ 1987م، ومن أشهر المكتبات في العالم أيضا نجد المكتبة البريطانية ونتيجة

لبعض الظروف التاريخية نجد الآن 3 مكتبات كبرى في بريطانيا، والمكتبة القومية لاسكتلندا في أدنبرة عاصمة اسكتلندا، والمكتبة الوطنية لوايلز (بلاد الغال) التابعة للمملكة المتحدة، وفي اليابان تقوم مكتبة البرلمان الياباني بمهام المكتبة الوطنية، أما في فرنسا فنجد المكتبة الأهلية، كما نجد مكتبة لينين في روسيا، وهذه كلها من أقدم المكتبات القومية في العالم، حيث تستعمل الآن نظما متطورة جدا في التخزين والأرشفة والاسترجاع والإعارة وباقي الخدمات المكتبية.

الكتب والمكتبات في الجزائر:

تمتلك الجزائر على غرار العديد من دول العالم مكتبة وطنية مقرها بالحامة بالجزائر العاصمة، من أبرز مهامها المحافظة على التراث الوطني وتطوير المعارف والمساهمة في بعث المشروع الثقافي الوطني، كما أقامت الجزائر العديد من المكتبات الجامعية التي يأتي على رأسها المكتبة الجامعية بالجزائر العاصمة فضلا عن مكتبة جامعية في كل جامعة ومركز جامعي.

تعاني المكتبات الجزائرية وعلى رأسها المكتبة الوطنية العديد من المشاكل منها ما هو متعلق بسياسة الدول الجزائرية في القطاع الثقافي، مثل ضعف الميزانية المخصصة لوزارة الثقافة والتي وصفها مدير المكتبة الوطنية الجزائرية بالهزيلة، فمكتبات البلدية لا يتعدى عددها 180 مكتبة على المستوى الوطني بعدما كانت الجزائر تمتلك 620 مكتبة سنة 1962، تهاوت كلها وما نجا منها صار عبارة عن قاعات عمل، كما تشهد المكتبات الجزائرية تأخرا كبيرا في استخدام الإعلام الآلي وفي ربطها بشبكة الانترنت وعدم وجود عدد كاف من الكتب والمراجع الحديثة التي تواكب التطور العلمي ولتكنولوجي.

أما الكتاب فيعاني من عدم وجود سياسة وطنية جادة للنشر والتوزيع فضلا عن عدم تشجيع الباحثين والمبدعين ما عدا بعض المحاولات من قبل وزارة الثقافة، التي أنشأت صندوقا للإبداع يصعب الاستفادة من موارده إلا المحظوظين، وتسعى مديرية المكتبة الوطنية إلى فتح ملاحق للمكتبة الوطنية في العديد من الولايات

والمدن، فكانت الملحق الأولى بمدينة فرندة ولاية تيارت والثانية بمدينة بجاية، كما أن هناك مشروع لبعث 7 ملحقات جديدة¹⁷.

مزايا الكتاب:

ينفرد الكتاب بما يلي:

- إن الكتب المطبوعة خفيفة الوزن يسيرة الحمل من السهل اصطلاحا.
- لا تحتاج إلى كهرباء أو إضاءة عند قراءتها إلا في الظلام.
- لا تحتاج لتجهيزات إضافية مثل منافذ عرض الفيديو.
- لا تحتاج إلى الصيانة والإصلاح كثيرا ولا خبراء إصلاحها.
- قابليتها للاستخدام سهلة.
- تجمع عدد كبير من الأفكار العميقة والمترابطة في مكان واحد.
- يشغل الكتاب مكانا صغيرا في المنزل.
- متابعة المعلومات عملية سهلة.

الكتاب الإلكتروني (الرقمي):

يرى المختصون في مجال النشر الإلكتروني أن الكتاب الإلكتروني بدأ يأخذ طريقه نحو القراء، ففي السوق تقدر قيمته بـ 20 مليار دولار سنويا، تحتل الإلكترونية أقل من 01% من المبيعات ويتوقع المختصون أنه بحلول عام 2020 تصحيح تسعة من عشرين كتب الكترونية بفضل تطوير أجهزة قراءة الكتاب الإلكتروني والكتاب الإلكتروني يعتبر نصا يقرأ وصوتا يسمع وفيلما يرى وتفاعلا بالحواس كافة السمع والبصر والفؤاد واللمس وغيرها من الحواس الداخلة في عملية التفاعل، ولقد ظهر مفهوما جديدا للمكتبة مع العصر الحديث وصار لها معنى مختلف عما كان عليه وخصوصا مع تعميم التعليم واجباريته وتطور صناعة الكتاب مع ازدهار المطبعة وأشكال الكتاب.

ولقد جاء تبلور وازدهار المكتبة العمومية دالا على تطور فكرة تعميم المعرفة على كل الناس من خلال المكتبة الإلكترونية، وتدخل المكتبة العربية العصر الإلكتروني اليوم على استحياء لأن الكتاب العربي ما زال مراقبا، حتى أن وضع تداول الكتاب العربي بين الأقطار العربية يمثل عائقا جوهريا أمام تحول

المجتمع العربي، لأن التشجيع على القراءة مازال ضعيفا في هذه المجتمعات، وعلى المستعمل اليوم أن يحمل ما شاء من الكتب والأعمال الأدبية والفلسفية، وحتى الكتب القديمة على الصورة التي ظهرت بها، فيكون الكتاب ليس لديه مثل النص الملموس ولكن لديه منه نسخة رقمية، وإذا أراد تصويرها لتصبح ملموسة فما عليه إلا استعمال طابعته لسحب الكتاب كاملا.

فلقد تطورت المكتبة إذن من الفضاء الواقعي إلى الواقع الافتراضي وهي في هذا لانتقل انتقلت من الفضاء الضيق إلى العالم الواسع، الذي لا حدود له ولا جواز سفر ولا تأشيرة والرغبة الشخصية وحدها كافية لدخول هذا العالم الذي أصبح ملكا للجميع، وتوجد مكتبات افتراضية كبيرة مكتبة (كاليكا) الفرنسية لتابعة للمكتبة الوطنية الفرنسية ومكتبات أخرى بريطانية وكندية وأمريكية وأسترالية ووراق عربي (ذاكرة العرب)، يعتبر هو الآخر أضخم موسوعة إلكترونية عربية وينقلنا إلى التراث العربي عندما كانت الوراق من مزدهرة وعالم الكتب ينبئ عن المستوى الرفيع الذي وصل إليه العرب على المستوى الثقافي والحضاري، ونجد فيها كتب الأدب وعلوم القرآن وكتب التاريخ وكتب الجغرافيا والرحلات وكتب الحديث وكتب التراجم وكتب الفلسفة والمنطق وكتب الأنساب وعلم اللغة والفقه والعقيدة والطب والتصوف وتفسير الأحلام وعلوم مختلفة والبيبلوغرافيات، إنه فعل مشروع هائل وهام خاصة إذا علمنا أن داخل كل خانة مجموعة كبيرة من الأعمال مثل ما نجد على سبيل المثال في مكتبة الأدب (الأغاني، العقد الفريد، صبح الأعشى، البيان والتبيين والبخلاء...).

نتبين القيمة الخاصة لهذه الموسوعة الإلكترونية الغنية بالمصادر والمراجع العربية القديمة، ونلاحظ إذن أن الموسوعة تقدم للقارئ العربي وغيره العديد من النصوص التي لا يمكنه العثور عليها إلا في المكتبات الكبرى، وإذا أراد شرائها فإن ذلك يكلفه أموالا باهظة بالإضافة إلى الفضاء الشاسع الذي يمكن أن تحتله في البيت. أما مشروع الوراق الأمريكي فيأتي ليكون فعلا مكتبة إلكترونية إنسانية، تضم أهم ما جادت به قرائح الشعوب والمطابع وهو يتوسع باستمرار،

وكلما زرتة وجدت فيه جديد الكتب والموسوعات، ولقد قدم الشيء الكثير من الأعمال التي يصعب العثور عليها حتى في مكتباتنا العمومية وخزانات جامعاتنا، وهو مزود بفهارس مساعدة للبحث بحسب الإعلام أو الموضوعات أو الكتب، إنه فعلا موسوعة ومكتبة إنسانية بأتم معنى الكلمة.

نحو فهم جديد للإبداع ومن أجل جماليات للإبداع التفاعلي:

يفرض علينا موضوع مجتمع المعلومات إيجاد العلاقة الممكنة من الناحية العملية بين المجتمعات العربية والمجتمع الإعلامي لأن مفهوم المجتمع الإعلامي لا يفترض فقط وجود التكنولوجيات الحديثة للاتصال، وإنما يفترض ذلك تغيرات وتحولات على المستوى الاجتماعي والثقافي والاقتصادي، وحتى على مستوى الاقتراب المفاهيمي للواقع أو للعالم الخارجي الذي يحيط بنا¹⁸.

وفي حديثنا حول المجتمع الإعلامي، فإننا نتحدث عن مختلف التغيرات التي حدثت في الانتقال من المجتمع الصناعي أو الحديث أو الجماهيري إلى مجتمع ما بعد الصناعة أو ما بعد الحداثة أو مجتمع المعلومات أو الإعلامي، فنقترب أكثر من علاقة التقنية بالمجتمع إلا أن حديثنا عن التقنية ليس كأداة فقط، لأن الحديث من التكنولوجيات الحديثة للاتصال كأداة يفترض ضمينا أننا نتحدث عن شيء موضوعي، وهو ما نشك في صحته على غرار ما يقوله Gilbert Simondon « إن التقنية والديانة هما تنظيم الوسايطين متماثلتين ومتضاربتين ولكنهما يشكلان زوجا واحدا، لأن كلاهما لا يمثل سوى مرحلة من الوساطة البدائية »¹⁹.

عندما تساءل الباحثون عن دور المتلقي في إنتاج معنى النص السمعي البصري، برزت الحاجة إلى تطور مقاربات خاصة من أجل فهم ظاهرة التلقي استخدمت أدوات مختلفة شملت الملاحظة والتسجيل والوثائق والمقابلات، أدت هذه الدراسات إلى ظهور تيار بحثي يتكون في جله من دراسات أثنوغرافية لتلقي الرسائل الإعلامية، وهو في الحقيقة امتداد للدراسات الثقافية الأنجلوساكسونية التي

كانت تسعى إلى إعادة تقييم الإنتاج الثقافي الجماهيري، وتم التركيز على المتلقي والابتعاد عن دراسة الرسالة.

الحقيقة إذن لم تعد من إنتاج الإنسان في علاقته بالواقع بل هي من إبداع هذه الأنظمة النصية التي تخلق عالمها الخاص الواقع النصي، النص المكتوب الذي تحول في ظل الثورة المعلوماتية إلى واقع فائق (Hyperréel) إلى نص فائق (Hypertexte)، فالنص الإلكتروني. فأنتهى إذن القارئ النموذجي الذي يعيد كتابة النصوص وبعث المكتوب وجعله فاعلا عبر القراءة، ليظهر القارئ السبيرياني الذي يعبر عن مرحلة ما بعد الإنسان أو الإنسان الكوكبي ككائن بشري جديد، إنه الإنسان الوسيط الذي يعيش وسط الطبيعة والذي تقوم العلاقة بين أفرادها على اختراع الوسائط وخلق الأوساط من أجل التواصل والتعايش نتيجة الثورة المعلوماتية، والذي تلاشت على سطح نصه الإلكتروني الحدود وتآكلت الهويات وازمحت الفروقات بين الشعوب والثقافات عن طريق التبادل الرقمي، فولد مجتمعا افتراضيا قائما على برامج وشبكات الاتصال في عالم اصطناعي يقوم على الخيال الوسائطي الميديائي (Mediologique) فتكون بذلك اللغة الرقمية بدل المكتوبة الأمر الذي يستدعي ولادة النص الإلكتروني والقارئ السبيرياني (Cybernétique)، ويعتبر هذا النص الرقمي متشعبا وعنكبوتيا ويتيح وسائل الاتصال كلها من سمعي وبصري ومرئي²⁰.

فالقارئ السبيرياني هو قارئ عالمي مقترن بوجود النص الإلكتروني الذي يصنع عالمه الافتراضي ويصطنع النصوص الرقمية، وليس هو القارئ المتوهم الذي يستعمل خياله الحقيقي. انتقل الإبداع من الشفاهي إلى الكتاب واستدعى ذلك مدة طويلة من الزمان، ومن الكتابي بدأ خلال العقدين الآخرين الانتقال إلى الإلكتروني، ولقد تطور الإبداع الإلكتروني في الغرب كثيرا وتجلّى من خلال مختلف الأجناس، وأساي هذا الإبداع هو التفاعل والترابط، فمع الإبداع التفاعلي يمكن الحديث عن الفن المتكامل الذي يتجاوز فيه الصوت بالصورة وبالحركة، وحيث المتلقي جزء أساسي من عملية الإبداع فهو يشارك فيها كمبدع تتحقق إبداعيته من خلال مساهمته في العملية نفسها، حيث لم يبقَ

المتلقي مكتفيا بمتابعة النص بعينه ، إنه يكتب النص بطريقته الخاصة وهو ينقر على الفأرة ويتحرك في جسد النص وفق اختياراته وإمكانياته ، وبذلك يبدع نصه من خلال النص الذي يقرأ.

إنّ الأجيال العربية الحالية والتي تشكل وعيها إلى أواخر الخمسينيات وبداية الستينيات من القرن 20 ، تربت على أساس خلفية شفاهية مهيمنة يلعب فيها الإنشاد الشعري والسجال الفكري والسياسي المرتبة الأولى ، أما الأجيال اللاحقة ، فبدأ وعيها يتشكل على التركة الشفاهية وإن بدأت ملامح الكتابة مع الرواية والتحليل الفكري تأخذ مداها في الوعي والممارسة وخاصة منذ أواسط الثمانينات ، وما تزال هذه المرحلة مفتوحة على ما يقدمه العصر من إمكانيات في مجال التطور الذي عرفته الوسائط المتعددة والوسائط المتفاعلة والتي بدأت تغزو الفضاء الثقافى العربي ، محدثة بذلك تحولا كبيرا على مستوى الإبداع والتلقي ، غير أن الأجيال التي فتحت أعينها على الصورة وقد تعددت القنوات العربية والأجنبية وبدأت الثقافة السيبرانية تفرض نفسها على العالم أجمع هي المؤهلة أكثر لتتخطى في هذا الإبداع التفاعلي إبداعا وتلقيا.

فالأطفال اليوم أحذق من آبائهم وأسرع في التعامل مع الحاسوب ومع آلة التحكم ومع البريد الإلكتروني والمحاورة الافتراضية ومع الفضاء الكبير ، فهذا الجيل مؤهلا للتفاعل مع العصر غدا.

إنّ التفاعل والترابط سمة أساسية للعصر الذي نعيش فيه والنص المترابط وهو يتجلى من خلال مختلف الأجناس والأنواع ليس سوى تجسيد لسمة العصر ، فالنص المترابط إذن هو العالم المترابط الذي يفرض نفسه علينا فرضا شئنا أم أبينا²¹.

إنّ انتقالنا من النص إلى النص المترابط يعني كأننا ننتقل من الكتاب إلى الكتاب الإلكتروني ، إنه انتقال الوسيط الذي يتم من خلاله تحميل الإنتاج ليغدو قابلا للتداول وموضوعا لتواصل ، هذا الوسيط الجديد ليس وسيلة فقط وإنما وسيلة وفضاء ولغة وخيال وواقع ، إنه باختصار عالم جامع غير قابل للتجزئة²².

تقوم الظاهرة الأدبية على ثلاثة أركان: الكاتب والنص والقارئ أو المتلقي، ولكن البحث في جماليات التلقي لم يلقَ حظه من الدراسة في أدبنا العربي بالقدر الكافي كما هو الشأن بالنسبة للكاتب والنص، وإن القول بأن جماليات التلقي نظرية غريبة المنشأ يطرح أمامنا كعرب مسألة نظرتنا إلى المتلقي ودوره في الظاهرة الأدبية، وصار اليوم من الضروري طرح إشكالية علاقة المتلقي بالنص الأدبي على أساس أن الحوار بين المتلقي والإنتاج الأدبي هو المجال الحقيقي للنقد الأدبي، كما أن البعد الجمالي للإبداع الأدبي يتوقف على مدى قدرة المتلقي في فهم العمل الذي بين يديه، فتتغير النظرة إلى المتلقي وأصبح ينظر إليه كمشارك في العملية الإبداعية، فتحول الاهتمام من الكتاب إلى القارئ أي من فكرة الإبداع إلى فكرة التأويل، وأن فكرة جماليات التلقي جاءت كبديل عن المدرسة الماركسية التي تعتبر الأدب مجرد مرآة عاكسة للواقع الاجتماعي، وخاصة للصراع الطبقي الذي ينبغي للكاتب أن يسخر فكره وقلمه للدفاع عنه، ولكن حالياً أصبح ينظر لقيمة العمل الأدبي استناداً إلى تفاعل المتلقي معه وقدرته على الاقتراب منه لاكتشاف أبعاده الجمالية²³.

ليصبح بذلك المتلقي مبدعاً أو بطلاً حقيقياً للبحث الأدبي حسب Yves Chevreul²⁴ وبذلك تصير القراءة إعادة لكتابة النص تقوم على ممارسات ثقافية لها تأثير في الحقل الاجتماعي، فعلاقة المبدع بالمتلقي إذن علاقة تبادلية تنطلق من النص إلى القارئ ومن القارئ إلى النص، فالقارئ خالق للنص بقراءته وتذوقه وتأمله وكأن للنص فاعلين خالقين، تنتهي فاعليته بمجرد تصدير نصه وابتعاده عنه، والثاني تتحدد فاعليته في أثناء كل مقارنة قراءة وبعدها ليشير بذلك مصطلح الأدب إلى علاقة التواصل بين المبدع والمتلقي، فلا يتحقق مفهوم النص إلا من خلال القارئ الذي يعيد تشكيله من جديد وهو على وعي بأنه واقع خيالي جمالي، فيصبح من هنا العمل الأدبي مساحة حوار واتصال بين ذات الكاتب وذات المتلقي حتى وإن كان وجود هذا الأخير وجوداً افتراضياً، فذات الكاتب ممثلة في إبداعه هنا والمتلقي مبدعاً آخر يساهم في فك رموز النص من خلال تأويل مضمونه.

الخلاصة:

إن عملية الكتابة تفرض عملية القراءة باعتباره ملازمة جدلية لها، فاتحاد الكاتب والقارئ هو الذي يمنح الحياة للنص بما هو موضوع واقعي ومتخيل أنتجه العقل وأن التأكيد على نوعية الخطاب الأدبي الجامع بين الوظيفة الإيصالية (التبليغية) والوظيفة الجمالية يبرره وجود نصوص لا يتعدى وجودها الورق الذي كتب عليه والكاتب الذي أنتجها، مما يعني فصلها عن الممارسة الأدبية ومثل هذا الوجود يعبر عنه بالمولود الميت مادامت حياة النص لم تتجاوز اللحظة التي انتهى المؤلف فيها من كتابته.

أما النص الحقيقي، فإن بداية حياته لا يؤرخ لها ببداية الكتابة، بل بنهايتها وبالتالي ببداية القراءات المحتملة للنص الواحد وردود أفعال مختلف المتلقين له.

بهذا، فإن الحديث عن جمالية الإنتاج يقابله الحديث عن جمالية التلقي وعلى هذا يستحيل تصور الأدب بدون متلقي، وعليه فإن جمالية النص وقيمه تتوقفان على قدرة المتلقي في إنتاج المعاني التي لم تخطر ببال المؤلف، لأن القراءة الجادة والمثقة قادرة على استجلاء الطابع الديناميكي للنص الأدبي الذي تتوقف كل من حياته وقيمه على مشاركة المتلقين، وبناءً على هذا فالعمل الفني الجاد ذو القيمة الجمالية هو الذي يستقطب أكبر عدد ممكن من القراء ليس في فترة زمنية محددة، بل في فترات زمنية متعددة مما يضمن له الديمومة والخلود ولنا في النص القرآني الكريم النموذج الأعلى للكمال الفني والجمالي²⁵.

الهوامش:

- 1 - جمال العيفة: "مؤسسات الإعلام والاتصال"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010، ص 158.
- 2 - نصر الدين بوزيان: "الإعلام والتغير القيمي" في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، قسم علم الاجتماع، 2004، ص 117.
- * - شبكة اتصالات عالمية تربط الآلاف من شبكة الكمبيوتر بعضها ببعض عن طريق خطوط الشبكة الرقمية أو الأقمار الصناعية، وقد بدأ العمل بها في السبعينات (1975) من القرن العشرين كمشروع لوزارة الدفاع الأمريكية ثم تحول إلى مشروع أكاديمي واقتصادي.
- 3 - يحيى اليحياوي: "كونية الاتصال، عولمة الثقافة"، منشورات عكاظ، المغرب، ص 129.
- 4 - سعيد يقطين: "من النص إلى النص المترابط"، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت، ص 10.
- 5 - يحيى اليحياوي: مرجع سابق، ص 129.
- 6 - عبد الجليل مرتاض: "التحليل اللساني البنيوي للخطاب الشفوي" في مجلة الأثر، جامعة ورقلة، 2002، ص 7.
- 7 - نسيم مخداني: "إشكالية الثقافة" في مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2008، ص 177.
- 8 - المرجع نفسه، ص 179.
- 9 - بذاك شايحة: "نماذج من الثقافة الفولكلورية للمجتمع الأمازيغي"، دار الأمل، تيزي وز، 2012، ص 26.
- 10 - المرجع نفسه، ص 28.
- 11 - عز الدين صحراوي: "العلاقة الجدلية بين المستويات اللغوية والتواصل في ضوء اللسانيات الاجتماعية المعاصرة" في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، 2004، ص 37.
- 12 - يحيى اليحياوي، مرجع سابق، ص 130.
- 13 - المرجع نفسه، ص 130.
- 14 - جمال العيفة، مرجع سابق، ص 34.
- 15 - المرجع نفسه، ص 41.
- 16 - المرجع نفسه، ص 48.
- 17 - المرجع نفسه، ص 50.
- 18 - عزيز لعبان: "الفضائيات العربية ومجتمع المعلومات: الافتراضي لتجاوز عوائق الواقع" في مجلة فكر ومجتمع، العدد 2، 2009، طاكسيك كوم للدراسات والنشر والتوزيع، الجزائر، ص 23.
- 19 - المرجع نفسه، ص 25.

- 20 - عبد الغني بارة: "تحولات النظرية النقدية المعاصرة" في مجلة عالم التربية، العدد 16، منشورات عالم التربية، المغرب، 2005.
- 21 - سعيد يقطين، مرجع سابق، ص 245.
- 22 - المرجع نفسه، ص 247.
- 23 - السعيد خضراوي: "نظريات القراءة أو الوجه الآخر لجماليات التلقي" في مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، جامعة باقنة، العدد 7، 2002، ص 77.
- 24 - المرجع نفسه، ص 77.
- 25 - المرجع نفسه، ص 83.

المراجع:

1. بذاك شابحة، نماذج من الثقافة الفولكلورية للمجتمع الأمازيغي، دار الأمل، تيزي وزو، 2012.
2. جمال العيفة، "مؤسسات الإعلام والاتصال"، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 2010.
3. السعيد خضراوي، "نظريات القراءة أو الوجه الآخر لجماليات التلقي"، مجلة العلوم الاجتماعية والإنسانية، العدد 7، جامعة باتنة، 2002.
4. سعيد يقطين، "من النص إلى النص المترابط"، مدخل إلى جماليات الإبداع التفاعلي، المركز الثقافي العربي، بيروت.
5. عبد الجليل مرتاض، "التحليل اللساني البنيوي للخطاب الشفوي"، مجلة الأثر، جامعة ورقلة، 2002.
6. عبد الغني بارة، "تحولات النظرية النقدية المعاصرة"، مجلة عالم التربية، العدد 16، منشورات عالم التربية، المغرب، 2005.
7. عز الدين صحراوي، "العلاقة الجدلية بين المستويات اللغوية والتواصل في ضوء اللسانيات الاجتماعية المعاصرة"، مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، 2004.
8. عزيز لعبان، "الفصائيات العربية ومجتمع المعلومات، الافتراضي لتجاوز عوائق المجتمع"، مجلة فكر ومجتمع، العدد 2، طاكسيج كوم للدراسات والنشر، الجزائر، 2009.
9. نسيمة مخداني، "إشكالية الثقافة"، مجلة دراسات في العلوم الإنسانية والاجتماعية، الجزائر، 2008.
10. نصر الدين بوزيان، "الإعلام والتغير القيمي" في مجلة الآداب والعلوم الاجتماعية، جامعة سطيف، قسم علم الاجتماع، 2004.
11. يحيى اليحياوي، "كونية الاتصال: عولمة الثقافة"، منشورات عكاظ، المغرب.